جريدة الأيّام: الخميس 16 ماي 1985 (ص 13)

"نوّارة الملح" الأمل المهدّد

قرأت "نوّارة الملح" فلفت انتباهي عطرها الشاذّ عطر فاح منذ القراءة الأولى. [فنوّارة الملح] هي الأمل الذي ... قد يتحقّق؟ وهي الأمل الذي يمكن أن يُغتال في أيّة لحظة من لحظات الزّمن. فكلّ قصائد المجموعة الشّعريّة انتعت بنقطة تعجّب ممزوجة بالحيرة وبالقلق. نتساءل لماذا؟ ... يبدى لي أنّ الحالة أو مجموعة الحالات التّي عالجها الشّاعر سوف عبيد ترجع أسباب تجذّرها في شخصيّتنا وسلوكنا ونظرتنا للحياة إلى تاريخ طويل اكسبته العادة صفة البلادة الحسّيّة والرّكود المزمن. فعندما يقول الشّاعر في قصيدة [الطّين]:

جفّت بسمته كالطّين!

فهو يرمز إلى ذلك الإنسان الذي يتوقّف عن الحياة عند الولادة ويموت قبل أن يعيش. فهو [الولد الذي ظلّ ولدا] وهو [ولد لن يكبر] لأنّه جمد لحظة الولادة وعاش ميّتا تخيفه الحياة وترهبه [الشّمس].

* [نوّارة الملح]: عنف ممارس ضدّ الخوف والموت ... الموت الذي يكبّل الحركة في الإنسان ويعطّل نموّه نحو الأفضل وبالتالي يقضي على الأمل الذي يظلّ رغم كلّ المعوقات لائحا في الأفق. وفي هذا الإطار يقول سوف عبيد في قصيدة [الزّورق أكبر من البحر]

بازغة نوّارة الملح

من كلّ جرح

* ولأنّهم ... ولأنّكم ... ولأنّي ... [بارد ... بارد ... بارد] و[دمٌ، حصى تخثّر في العروق] فلن تقوم قائمة ولن تحبل العذراء، بل [ربّما... ربّما... ربّما!]

* يقول سوف عبيد في قصيدة [الشّهر التّاسع] مخاطبا الجنين/ الأمل الذّي يستعدّ لدخول المغامرة ... مع الواقع المعاش.

أيّها القادم من بعيد

الدّنيا عندنا: لا جديد

والطّقس ضباب وسحاب

لا شمس في السّماء

وخبزنا بالدّماء

الأمل الذي يولد فينا مطلع كلّ لحظة مهدّد بالخيبة. لأنّ ما نعانيه حجب عنّا لون

السّماء فأضحينا لا نبصر سوى الضّباب والسّحاب. لأجل ذلك يدعونا سوف عبيد بتهكّـم فاجع إلى عدم اصطناع الفرحة بل الاجدر بنا أن نبكي.

فاستعدّ للبكاء

برغم الزّغردة!

هكذا بدت لي [نوّارة الملح] آملا قد يكون؟ ... ولأنّه قد يكون، يسـتلزم منّـا أن نتحـرّك حتّى يحصل الفعل وبالتّالي التّغيير والثّورة على وضع اعتدناه فقتـل فينـا روح الحركيّـة المستمرّة.

ونهاية القول فإنّ المجموعة الشّعريّة [نوّارة الملح] كـانت حقّـا شـعرا إبـداعيّا متميّـزا بحكم ما حوته من نفـس شـعريّ واضـح علـى مسـتوى المعانـاة [الغـوص فـي صـميم القضايا] وعلى مستوى الشّكل [الموسيقى أو الإيقاع داخل القصيدة نفسها].

عبد الحميد الصّغير
-سوسة-